

جزيرة تاروت في عيون علماء التاريخ والآثار

(محاضرة أقيمت في منتدى الثلاثاء الثقافي بتاريخ ١٩ صفر ١٤٤٢هـ (٦ أكتوبر ٢٠٢٠م))



سلمان حسن آل رامس

باحث ومؤرخ

جزيرة تاروت الواقعة في وسط الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية، تعتبر من أهم المراكز الحضارية في الخليج العربي، فقد لعبت دوراً مهماً في التاريخ القديم، وقامت على أرضها حضارة تعود إلى الآلاف من السنوات، وذكرها الجغرافيون القدامى والمؤرخون في مصادر مختلفة، واكتشف في أرضها متروكات أثرية تعود إلى فترات زمنية سحيقة.

وهي في رأي (جيفري بيبي)، رئيس البعثة الدنماركية التي درست المنطقة ليست مجرد أقدم منطقة في المملكة العربية السعودية، وإنما أقدم موقع لمدينة في الخليج العربي، واعتبرها الموقع الوحيد الذي يمكن من خلاله تتبع القرون المفقودة من التاريخ، وذلك الموقع هو (تل تاروت)، حيث تقع آنية العبيد بأسفلها وآنية (باربار) بطبقاتها العليا.^(١)

وذكرها (بطليموس) في جغرافيته على أنها (Thar) أو (Taro)، اشتق اسمها من الإله (عشتاروت) فاشتجرت به، ثم حذف المقطع الأول من الإله اختصاراً، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين وهما (تاروت)^(٢). وبحسب ما ذكره (أريانوس) أن الاسكندر المقدوني

(١) جيفري بيبي، البحث عن دلمون.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ١٧٥.

علم بوجود جزيرتين، الأولى قريبة من فم الخليج العربي وهي جزيرة (فيلكة)، والثانية هي (تيروس) على مسيرة يوم وليلة بالسفينة من فم نهر الفرات، وهذه الجزيرة لا بد أن تكون تاروت وسط خليج القطيف^(١).

وجاء في حولية الآثار العربية السعودية (أطلال)، أنه «نستطيع الجزم بأن (تيروس) التي ذكرها (بليني) هي البحرين، تأسيساً على وصفه لها، إلا أن الاسم جاء محرّفاً في نص بليني، ولا بد أن تكون هي (تيلوس)، وليست (تيروس) سوى جزيرة صغيرة خارج القطيف، وتعرف باسم تاروت ولقد سجل بطليموس كلا الجزيرتين»^(٢).

ذكرت تاروت بهذا الاسم في المصادر العربية في منتصف القرن السادس الهجري (٥٥٤ هـ)، وذلك عندما ذكر عماد الدين الأصفهاني في «الخريدة» عند ذكره للشاعر أبي الحسن علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري (بن المقلة)^(٣) من عبد القيس، قال فيه «شاب من أهل العلم وأصحاب الحديث، متوقد الذكاء، وله يد في العروض والقوافي». قال صاحب «الخريدة»، ومما أنشدني لنفسه أبيات في ذم تاروت قال فيها:

قبح الله ليلتي ومبיתי أتلّوى للجوع في تاروت
ليس عندي سوى ثيابي شيء مثل ميت قد حلّ في تابوت

(١) سامي سعيد الأحمد، تاريخ الخليج من أقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، ص ٣١٥

(٢) أطلال، حولية الآثار العربية السعودية، العدد السادس ص ٩٧.

(٣) ابن المقلة علي بن الحسن بن إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن معروف بن جعفر ينتهي إلى عدنان أبو الحسن العبدي البصري، يعرف بابن المقلة كان شيخاً فاضلاً له معرفة بالأدب والعروض وله تصانيف، مات بالبصرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة (الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢٠). قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء (وهو شيخ فاضل له معرفة بالأدب والعروض، وله كتب وتصانيف في ذلك، ويقول الشعر ويترسل، مات بالبصرة في رابع عشر شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة).

وحصاني نضو من الجوع مثلي فاقد قته كفقدي قوتي^(١) والظاهر أن شاعرنا زار تاروت في منتصف القرن السادس الهجري، وتصور من الجوع فأنشد هذه الأبيات. و(القت) في الأبيات هو البرسيم علف للحيوانات وما زال يعرف بالقت إلى يومنا هذا في تاروت.

ثم ذكر العماد في خريدته جزيرة تاروت عند حديثه عن الشاعر القطيفي الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي الجذمي، قال الاصفهاني «حدثني الأديب علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي البصري بالبصرة، قال كان الحسين بن ثابت هذا شاعراً نسبة كاتباً لحق سنة ٥٥٠ هـ ثم توفي في عمان، ورأيت أخاه بالقطيف». قال الأديب علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي^(٢) «نزلت جزيرة تاروت في ذي الحجة سنة ٥٥٤ هـ، ودخل إلي من أهلها من ذاكرني وحدثني، وهو أبو شكر عبد القيس بن علي بن عبد القيس بن مالك بن موسى بن محمد بن مالك الخارجي المالكي إلى آخر النص^(٣).

وذكرت تاروت وقلعتها في القرن السابع الهجري (٥٦٤١) في كتاب «تحرير وصاف»^(٤) عند حديثه عن (أتابك) واحتلاله أوام، ثم سيطرته على القطيف وقلعة تاروت، وأخطأ في كتابتها (طاروت). وذكرها بن لعبون النجدي عند حديثه عن الأحداث الواقعة بعد انهيار الدولة القرمطية وقيام الدولة العيونية وقدم جيش من

(١) عماد الدين الاصباني، خريدة القصر وجريدة العصر، ج ٤، ص ٦٨٤.

(٢) علي بن الحسن بن إسماعيل العبدي، من بني عبد القيس، أبو الحسن: أديب عروضي، من أهل البصرة له «مصنفات» قال القفطي: ونعم الشيخ كان فضلا وثقة. وأورد أبياتا من شعره. وقال ياقوت: خرج لنفسه «فوائد» في عدة أجزاء، عن شيوخه، وحدث بها وأقرأ الناس الأدب. الزركلي ج ٤.

(٣) عماد الدين الاصباني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص ٨٦٠ (مجلة العرب، الجزء الثالث، السنة الثالثة، رمضان ١٣٨٨ هـ، ص ٣٨٢).

(٤) تحرير تاريخ وصاف ص ١٠٥.

البصرة في القرن السادس الهجري^(١). كما تذكر المصادر، أن الحاكم العيوني الفضل بن عبد الله قد اغتيل في تاروت^(٢) عام ٥٢٠هـ، ونلاحظ أن الفترة الزمنية هي نفسها التي ذكرت فيها تاروت عند الأصفهاني كما أسلفنا وذلك في القرن السادس الهجري، أي الثاني عشر الميلادي (١١٢٦م).

وذكرت تاروت بهذا الاسم في القرن السابع الهجري، في المعاهدة التي تمت بين العيونيين في عهد الفضل بن محمد (٦٠٦ - ٦١٦ هـ) وملك جزيرة قيس. كما ذكرها أبو الفداء (توفي ٧٣٢هـ) في «تقويم البلدان» وقال «تاروت بليدة في الشرق من القطيف، وإذا مد البحر أحاط بها وبأراضيها فتصير جزيرة، وإذا جزر البحر انكشف، فيصل الناس من البحر، وتاروت الكروم الكثيرة والعنب المفضلة^(٣). ويدل النص على شهرة تاروت بالعنب، واستمرت تاروت أرضاً زراعية جيدة وجزيرة خضراء حتى سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين.

ذكرها البحارة العربي الشهير بن ماجد الذي توفي عام ١٥٠٠م، في شعره عند وصفه للمسافات البحرية في الخليج بين البحرين والقطيف فقال:

ومنه للبحرين ستة أزوام في مغرب العقرب بالتمام
ومغرب التير على تاروتا ترى القطيف عامراً منعوتاً
كما أننا نجد اسم جزيرة تاروت حاضراً في الخرائط الأوروبية
عن منطقة الخليج في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع
عشر الميلادي.

(١) تاريخ بن لعبون، ص ٩٦.

(٢) ابن المقرب وتاريخ الامارة العيونية في بلاد البحرين، الدكتور فضل بن عمار العامري، ص ٤٨. وقيل سنة ٥٣٣، انظر صفحات من تاريخ الاحساء، عبد الله الشباط، ص ٢٢٤

(٣) ابو الفداء، تقويم البلدان، ص ٨٣.

قام العديد من المتخصصين بدراسة جزيرة تاروت، ونشرت تقاريرهم وما توصلوا إليه في الجوانب الأثرية وخاصة منطقة قلعة تاروت، وأعطت هذه الدراسات صورة مشرقة عن تاريخ هذه الجزيرة الموعج في القدم. ومن أهم من قام بدراسة جزيرة تاروت هو (جفري بيبي)، وقام بنشر نتائج هذا العمل في تقرير أولي عام ١٩٧٣م، ثم نشر هذا العمل في كتابه «البحث عن دلمون» عام ١٩٨٤م. كما قام الدكتور عبد الله حسن مصري عام ١٩٧٢م بدراسة آثار جزيرة تاروت وضمنها في أطروحته لدرجة الدكتوراة ونشر رسالته عام ١٩٧٤م، وقامت أيضا الباحثة الغربية بسنجر (Maria Piesinger Constance) بتقديم أبحاثها عن جزيرة تاروت والمنطقة لجامعة ويسكنسون - ماديسون (Wisconsin - Madison).



قامت البعثة الدنماركية عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) بمسح عام لجزيرة تاروت، وتم خلاله العثور على كميات كبيرة من الملتقطات السطحية تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، من كسر الأواني، والحجر الصابوني، والفخار الأحمر، وأواني فخارية وأختام. وتوضح الآثار الموجودة في جزيرة تاروت أهمية هذه الجزيرة باعتبارها إحدى جزر مملكة دلمون بل وأهم أجزاء حضارة دلمون

(عاصمة دلمون الأولى) التي لعبت دوراً تجارياً هاماً بين حضارة ما بين النهرين في العراق، وحضارات الجنوب في عمان والهند والسند، وشرقي أفريقيا وحتى مصر، بل ويعتبرها البعض أنها هي جزيرة دلمون المذكورة في نصوص بلاد الرافدين والأرض المقدسة عندهم^(١).

ويلاحظ أن الاستيطان في جزيرة البحرين من خلال الدليل الأثري لم يكن يغطي فيها فترات (أوروك) و (جمدة نصر)^(٢) وعصر فجر السلاطات الأول والثاني، أي قبل منتصف الألف الثالث قبل الميلاد (٢٥٠٠ ق.م). وهذا ما أيده (بوتس) عندما صرح بقوله «لا يستتبع آلياً القول أن تلمون الآشورية أو تيلوس هي البحرين، وأنه لا شيء يوحي بأن هذه الجزيرة (البحرين) كانت نحو ٣٠٠٠ - ٢٥٠٠ قبل الميلاد مجتمعاً متطوراً له اتصال بجنوبي بلاد ما بين النهرين باستثناء قطعة أثرية وحيدة متعددة الألوان)^(٣). وهذا ما أكد عليه الدكتور عبد الله حسن مصري حيث يرى «أن جزيرة تاروت كانت أسبق اتصالاً ببلاد الرافدين، وحضارة جنوب العراق من جزيرة البحرين وساحل الإمارات أو عمان، وأن اتصال تاروت الحضاري كان واسعاً مع كل المناطق الحضارية في بلاد الرافدين وغيرها»^(٤). وتضيف هيا آل ثاني «إذا كانت فترة جمدة نصر هي بداية العالمية كما أطلق عليها (بورادا)، والتي انتشرت مخلفاتها على نطاق واسع في بلاد الرافدين والخليج وحتى عمان، فإن جزيرة تاروت ظهرت كأحد أهم المراكز الحضارية التي وجدت

(١) للمزيد راجع القطيف دراسة في التاريخ القديم، سلمان رامس.

(٢) جمدة نصر: هي مرحلة سابقة للعصر التاريخي، وقد استطاع الإنسان فيها أن يصل إلى مرحلة متقدمة في الفن، وتطورت فيها صناعة الأواني الحجرية والفخارية.

(٣) بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ١، ص ١٧٢.

(٤) عبد الله حسن مصري، ما قبل التاريخ في شرق المملكة العربية السعودية وشمالها، دراسات تاريخ الجزيرة العربية (الكتاب الثاني)، ص ٨٦.

فيها هذه السلع العالمية.^(١)

وإلى جانب ذلك يرى (بوتس) أنه ومن خلال المعثورات العائد تاريخها إلى عصر فجر السلالات، والتي عثر عليها في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية لا يشير اسم دلمون إلى جزيرة البحرين، بل الأخرى أن تكون المنطقة الشرقية من جزيرة العرب^(٢) مع منشآتها في أم النصي وأم الرمضة في الداخل، وتاروت على الساحل، وفي خارج المقبرة التي عُثر فيها على الأدوات الموصوفة أعلاه، تتمتع تاروت بربوة كبيرة يتوجّها حصنٌ سحيق في القدم. ونظراً إلى ثراء المرفقات الجنائزية التي عُثر عليها في المقابر، من الممكن جداً أن تكون تاروت المرفأ الأساسي، أو حتى عاصمة بلاد دلمون القديمة.

ثم يرى بوتس أنه ولأسباب مجهولة انتقل الثقل في دلمون في تاريخ أقصاه ٢٢٠٠ قبل الميلاد من البر السعودي إلى البحرين، أي انتقل اسم دلمون من كونه يدل على تاروت في المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة العربية، إلى أن أصبح يطلق على جزيرة البحرين. وفي وقت قصير، ظهرت في الجزيرة منشآت كبيرة مثل قلعة البحرين وسار، وكذلك مجمع معبد بربارا الرائع وآلاف المقابر الركامية.

ويبدو أن بعض المراكز في الساحل الشرقي لجزيرة العرب وخاصة القطيف وتاروت كانت مخزناً كبيراً لمنتجات العالم القديم، أو سوقاً للتبادل التجاري، فكانت تصل إليها بضائع الهند والعراق وبلاد العرب، حيث يتولى التجار والبحارة الديلمونيون

(١) هيا علي جاسم ال ثاني، الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، ص ٥٣

(٢) بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ١، ص ١٧٣

نقلها وشحنها إلى مختلف الجهات^(١).

ولقد أوضحت الدراسات التي قام بها كول وهاربتل وسائر بأن مصادر هذه الأحجار في جزيرة تاروت متنوعة باعتبارها محوراً هاماً للتبادل التجاري في الخليج العربي. وتعتبر إيران وغرب الجزيرة العربية وجنوبها الغربي من أهم مصادر هذا النوع من الحجر. ولم تكن تاروت مجرد مركزاً للتبادل التجاري وحسب، بل كانت أيضاً مركزاً لإنتاج البضائع، ومما يدل على ذلك وجود بعض الأحجار غير مكتملة التصنيع^(٢)، ويعتقد الباحثون وجود مصنع للأواني الحجرية جنوب الربيعة^(٣) يعد من أكبر المصانع على مستوى الخليج العربي.

وفي دراسة قام بها (جوريس زارينز) عن أنواع الفخار في آثار المملكة العربية السعودية والتي شملت ٦٠٠ قطعة من الفخار والحجر الصابوني الموجودة في متحف الرياض، قال الباحث «أنه يجب التنويه من البداية عن أن المصدر الرئيسي للمواد الحجرية تحت الدراسة هنا هو جزيرة تاروت، الموجودة في الخليج العربي إلى الشرق من القطيف، ويرجع تاريخ اكتشاف تلك المواد والموقع إلى سنة ١٩٦٢م. بل أن الأدوات المنوعة من الحجر الصابوني، والتي تنتمي للألف الثالث قبل الميلاد من خارج تاروت تعد نادرة وقليلة العدد في الأجزاء الأخرى من الجزيرة العربية^(٤).

وذكرت (كوتي) أن التحاليل برهنت على أن الحجارة المستخدمة في تاروت أتت من مصادر مختلفة، ويرجح أنها نقلت بشكل خام

(١) الدليل الأثري الحضاري لمنطقة الخليج العربي ص ٨، (جزيرة تاروت وساحل القطيف بالمملكة اللذين ازدهرا عن طريق تجارة الرخام والحجر اللازوردي فضلاً عن النحاس كمواد خام أو مصنعة في إطار العلاقات المحلية بعيدة المدى.

(٢) جمال سعد عمر، ص ٢٢٩.

(٣) الرفيعة، راجع آثار المنطقة الشرقية.

(٤) أطلال العدد الثاني ص ٧٧.

أو نصف منتهي، أي أن جزيرة تاروت ربما كانت محطة مرور أو موقعاً للإنتاج يتضمن عدداً من الحرفيين المتنقلين الآتين من جنوب شرق إيران، أو ربما كانت وثيقة الصلة بأولئك الحرفيين طوال عدة قرون. وعلى مدى الألف الثالث قبل الميلاد، عكف أولئك على صنع آنية مخصصة لنخبة سكان المراكز الحضرية في بلاد ما بين النهرين ومعابدها، وقد يكون ذلك في إطار تبادل الهدايا بين الملوك والأسياة المحليين^(١).

ويرى (بوتس) أنه من مقارنة تحاليل الأواني التي عثر عليها في تاروت والعينات المأخوذة من البر، أن بعضاً من الحجارة المستعملة في تاروت يمكن أن تكون قد جُلبت من مصدر يبعد عن الرياض بحوالي ٢٠٠ كم إلى الجنوب الغربي منها، وهذا ينطبق على مثلتها في (فيلكة) و(ماري). وبعض المعثورات الأخرى من الأواني في تاروت تماثل في التركيب قطع (خفاجة) و (نيبور) و (كيش) و (أور)، وهذه لا تضاهاي مجموعة تاروت المعمولة من الحجارة اللينة من حيث حجمها وغناها وتنوع زخارفها، ولا يضاهايها أي مكان آخر في المنطقة فيما عدا موقع واحد فقط في (تبيه يحيى) في مقاطعة كرمان في إيران^(٢).

كما عثر في تاروت على ما يزيد على ٣٠٠ نموذج من الكؤوس غير المزينة المصنوعة من الكلوريت والستياتيت من نماذج شائعة في مقبرة (جمدة نصر) في (أور)، وعثر على ما يزيد على ٣٠٠ قطعة من الأواني المنقوشة المصنوعة من الموسكوفيت والستياتيت والكلوريت، التي يرجح تاريخها إلى زمن مجموعة المواد المسماة المجموعة القديمة أو طراز ما بين الحضارات. وتضم مجموعة

(١) د. ماريان كوتي، أواني الكلوريت من جزيرة تاروت، طرق التجارة القديمة: روائع آثار المملكة العربية السعودية، ص ١٧٥.

(٢) بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ج١، ص ١٤٤، د. ماريان كوتي، أواني الكلوريت من جزيرة تاروت، طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية، ص ١٧٤.

تاروت الكاملة ما يقرب من ٢٠٠ آنية رسم عليها حيّات وسنوريّات متقاتلة أو نخيل أو عقارب وأسود أو طيور أمدغور (نسر رأسها رأس أسد)، وتضم تنوعاً كبيراً من الزخارف الطبيعية والهندسية بما فيها ما يسمى واجهة المعبد أو الكوخ^(١).

وفي شرق بلاد العرب تكاد تنعدم الآثار العائدة إلى الألف الرابع قبل الميلاد، ويلزم انتظار الألف الثالث لتشهد المنطقة عودة المنتجات الفخارية، وهذه المنتجات كناية عن خزفيات من بلاد الرافدين كانت تستخدم لنقل السلع الغذائية كالزيت والحبوب. وأتاح التنقيب في منطقة الرفيعة بجزيرة تاروت اكتشاف جرتين تعودان إلى تلك الحقبة الزمنية إحداهما أنبوية الشكل ذات شفة مدببة، وجرة مخروطية الشكل، وتنسب هاتان الجرتان إلى حقبة (جمدة نصر) السلالة القديمة الأولى في بلاد الرافدين^(٢). الأمر الذي يثبت أقدمية الاستيطان في جزيرة تاروت ويجعلها أهم المراكز الحضريّة على سواحل الخليج.



(١) بوتس، الخليج العربي في العصور القديمة، ج ١ ص ١٤٤.

(٢) د. ماريان كوتي، أواني الكلوريت من جزيرة تاروت، طرق التجارة القديمة روائع آثار المملكة العربية السعودية، ص ١٧٤

